JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ
العدد الحادي والاربعون
(١٨٥) (٢٠٥)

قانون الكارما في الفكر العراقي القديم كارما نفي تماثيل الآلهة نموذجاً

م.د. امجاد جميل حمود الغنيماوي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية
ahammood@uowasit.edu.iq

المستخلص:

يكشف التراث الديني والأخلاقي في حضارات بلاد الرافدين عن منظومة فكرية تقوم على مبدأ السببية الذي يربط بين الفعل ونتيجته، في إطار يعكس إيمان العراقيين القدماء بوجود نظام كوني واجتماعي تحرسه الآلهة، وقد مثّلت النصوص المسمارية هذا التصور من خلال تصوير الآلهة بوصفها ضامنة للنظام، تتدخل لمعاقبة من يخلّ به، كما في حالات التعدي على تماثيل الآلهة التي عُدّت جرائم دينية وأخلاقية تستوجب عقاباً حتمياً قد يمتد أثره إلى أسرة الجاني أو مدينته، ويبرز مثال نفي تمثال مردوخ بما ارتبط به من أحداث وكتابات دليلاً على هذا المبدأ، إذ يعكس الاعتقاد بأن الأفعال المخلة بالنظام الإلهي تجر عواقب لا مفر منها، هذا التصور الذي يقارب في جوهره فكرة "العاقبة الأخلاقية" في مفهوم الكارما الهندي، وإن اختلف عنها في آليات عمله وسياقه الفلسفي والديني، ويسعى هذا البحث إلى تحليل هذه الظاهرة في سياقها التاريخي والاجتماعي في العراق القديم، ومقارنتها بمفهوم الكارما الهندي للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين النظامين الفكريين.

الكلمات المفتاحية : (الكارما، الإله مردوخ، نفي التمثال ، العقوبات الإلهية)

The Law of Karma in Ancient Iraqi Thought: Karma of the Banishing of the Statues of the Gods as a Case Study

Assistant Lecturer Amjaad Jameel Hammmood Al-Ghanimawi
University of Wasit / College of Education for Human Sciences
ahammood@uowasit.edu.iq

Abstract:

The religious and ethical heritage of ancient Mesopotamian civilizations reveals a conceptual framework based on causality, linking actions to their consequences in a manner that approaches the essence of the Indian concept of karma, though differing in its mechanisms and cultural context. While

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

karma developed as a later philosophical law, Mesopotamian texts portray the gods as guardians of cosmic and social order, intervening to punish those who violate it. Acts such as desecrating divine statues were considered grave religious and moral offenses that inevitably demanded retribution, sometimes extending to the offender's family or city. The exile of the statue of Marduk, with its associated events and writings, stands as a vivid example of this principle, reflecting the Mesopotamian belief that transgressions against divine order inevitably bring consequences. This notion parallels the idea of "moral consequence" in karma, albeit within a different philosophical and religious framework. The present study seeks to analyze this phenomenon in its historical and social context in ancient Iraq and to compare its intellectual dimensions with the Indian concept of karma, thereby highlighting points ofconvergence and divergence between the two system.

Keywords:(Karma ,God Marduk, Statue Exile, Religious Punishments).

المقدمة

تعد حضارات العراق القديم ومنها حضارة بابل، من أعرق النماذج الإنسانية التي عبرت عن رؤية كونية متكاملة تربط بين السلوك البشري والنظام الكوني عبر منظومة دينية وأخلاقية صارمة، إذ آمن البابليون بأن الكون تحكمه إرادة الآلهة، وأن الحفاظ على التوازن الكوني والاجتماعي مرهون بطاعة أوامرها واحترام مقدساتها، مما أفرز في الفكر البابلي مبدأ سببي يربط بين الفعل ونتيجته، بحيث يكافأ الفعل الصالح بالثواب، ويعاقب الفعل الآثم بالعقاب، وهو ما يقترب في جوهره من مفهوم "الكارما" في التقاليد الهندية، وإن اختلف عنه في آلياته وفلسفته، وقد تجلى هذا المبدأ بوضوح في النصوص البابلية التي نصت على عقوبات صارمة بحق من ينتهك حرمة المقدسات، ومنها التعدي على تماثيل الآلهة، إذ كان ينظر إلى هذا الفعل باعتباره جريمة دينية وأخلاقية تهدد توازن الكون وتستوجب جزاءً حتمياً قد يمتد أثره إلى أسرة الجاني أو مدينته، ويمثل نفي تمثال الإله مردوخ مثالاً بارز على ذلك، حيث ارتبطت هذه الحادثة في الوعي البابلي بفكرة أن الخلل في العلاقة مع الإله يجلب الكوارث على المجتمع بأسره، من جفاف وهزائم إلى اضطرابات اجتماعية.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

ينطلق البحث من فرضية وجود مبدأ أخلاقي يشبه "الكارما" في الفكر الديني والأخلاقي لحضارات العراق القديم، ويسعى إلى تتبع النصوص والمعتقدات التي تربط بين الفعل الأخلاقي ونتيجته، سواء كانت عقوبة دنيوية أو أخروية، وتحليلها في سياقها البابلي، ومقارنتها بمفهوم الكارما الهندي، بهدف الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين النظامين، وفهم جذور فكرة "العاقبة الأخلاقية" في الثقافات القديمة.

تنبع أهمية الدراسة من سعيها إلى سد فجوة بحثية في مجال الدراسات المقارنة بين النظم الفكرية والدينية للحضارات القديمة، وإبراز كيف عبرت بابل وسائر مدن العراق القديم عن العلاقة بين السلوك الفردي والمصير الكوني، في إطار تصورات دينية ترى أن العدالة لا تقتصر على الفرد، بل تمتد لتشمل الجماعة والمجتمع بأسره.

تتمثل الإشكالية البحثية في غياب إطار تحليلي متكامل يربط بين المفاهيم المتداولة في الحضارتين البابلية والهندية، ويضعها ضمن سياقها التاريخي والجغرافي الممتد من بلاد الرافدين إلى شبه القارة الهندية، وهذا يستدعي إعادة قراءة النصوص القديمة في ضوء منظومة القيم الأخلاقية الكونية المرتبطة بالطبيعة الوجدانية للإنسان، بهدف الكشف عن الجذور الأولى للتصورات الإنسانية حول العدالة والمصير والعلاقة بين الإنسان والكون.

استندت هذه الدراسة إلى مجموعة من المصادر الأكاديمية التي تُعد مرجعًا أساسيًا في فهم التاريخ السياسي والديني لبابل خلال الفترة الممتدة من نهاية العصر الكاشي حتى سقوط الهيمنة الآشورية. من أبرز هذه المصادر كتاب (Grant Frame, Rulers of Babylonia ,1995)، الذي يُقدّم توثيقًا دقيقًا لتسلسل الأحداث السياسية والدينية في بابل، مستندًا إلى النصوص الملكية والنقوش الرسمية التي تعكس تطور السلطة وتداخلها مع المعتقدات الدينية.

كما تم الاعتماد على نص "نبوءة مردوخ" في ترجمة Benjamin Foster, Before the Muses (1993)، الذي يمثل احد اهم النصوص النبوئية البابلية المهمة، ويعكس تصورات المجتمع البابلي حول مستقبل السلطة والعدالة الإلهية، مما يساهم في فهم البنية الفكرية والدينية التي شكّلت الخطاب السياسي في تلك الحقبة.

فضلاً عن ذلك، تناولت الدراسة تحليلًا لنص DT 71 كما ورد في دراسة J. Hehn المنشورة في مجلة Beiträge zur Assyriologie عام 1960 والتي تعد من أقدم المحاولات المنهجية لتوثيق

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

العلاقة بين السلطة الملكية والإرادة الإلهية في الأدب البابلي، وتبرز كيف تم توظيف النصوص الأدبية لتكريس شرعية الحكم وربطها بالمشيئة الإلهية، فضلاً عن المصادر العربية والمعربة.

إن هذا البحث لا يكتفي بتقديم مقارنة فكرية، بل يسعى إلى إثراء فهمنا للمنظومات الأخلاقية والدينية التي شكلت وجدان الإنسان القديم، وكيف عبرت عن قلقه الوجودي وسعيه لفهم موقعه في هذا الكون الواسع.

المحور الأول : البنية المفاهيمية والمرتكزات الاصطلاحية:

تقتضي طبيعة البحث الوقوف أولاً عند البنية المفاهيمية والمرتكزات الاصطلاحية التي يقوم عليها، إذ إن تحديد المفاهيم وضبط المصطلحات يمثل خطوة أساسية لضمان وضوح الإطار النظري وتماسكه. فالمفاهيم ليست مجرد أدوات لغوية، بل هي مفاتيح لفهم الظواهر التاريخية والدينية والسياسية التي يتناولها البحث، وتأتي أهمية توضيح الدلالات الاصطلاحية المرتبطة بمصطلحات مثل الشرعية، الغياب، الحضور، الرمز، والتمثال، بما ينسجم مع السياق البابلي القديم ويعكس طبيعة النصوص المسمارية والأدبية التي شكلت الوعي الجمعي في بابل، ويمكننا تحديد أهم المرتكزات :

اولاً : مفهوم الكارما(Karma):

تمثل الكارما أحد أبرز المفاهيم الأخلاقية والفلسفية في الحضارة الهندية، وقد شكل ركيزة أساسية في تطور الفكر الشرقي عموماً (شرف، ٢٠٢٥، صفحة ٥٦)، هذا المفهوم، الذي يقوم على مبدأ السببية الأخلاقية وربط الفعل بنتيجته، بمعنى ان لكل فعل نتيجته الخاصة التي تلاحق الفاعل حتى فيما وراء القبر (بارندر، بلا .ت، صفحة ٢٢٨)، ظل عبر الأجيال موضوعاً معقداً يصعب تقديم شرح واضح ومقارن له، رغم كثرة النصوص التي تناولته، الكارما تفهم في الهندوسية والبوذية باعتبارها القوة الناتجة عن أفعال الإنسان(Donniger, 2009, p. 28)، والتي تحدد طبيعة وجوده في حياته المقبلة، كما تؤثر في مجريات حياته الراهنة، الأعمال الصالحة تقود إلى نتائج إيجابية، بينما تؤدي الأفعال السيئة إلى معاناة أو سقوط في العوالم السفلى، وقد ارتبطت الكارما بالنظم القانونية والأخلاقية، حيث اعتبرت جزءاً من النظام الكوني الذي يعيد التوازن تلقائياً، وصولاً إلى الحقائق الأربع النبيلة في البوذية، كما ارتبطت بالأفعال الطقسية الدقيقة التي تنفذ لضمان نتائج مادية مرغوبة مثل المطر أو الخصوبة ،ومع تطور الفكر الهندوسي، خصوصًا في الأوبانيشاد، تحوّل هذا المفهوم إلى قانون كوني يتجاوز حدود الطقس ليشمل العلاقة بين الفعل والنتيجة عبر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

دورات الولادة والموت (سامسارا)، مما جعل الإنسان مسؤولًا عن مصيره الأخلاقي والروحي (Donniger, 2009, pp. 18, 36).

نشأ مفهوم الكارما في منطقة Greater Magadha شرق الهند، خارج السياق الفيدي التقليدي، وتطور في الديانات غير الفيدية مثل الجاينية والأجيفيكية والبوذية، في هذه الديانات، تعتبر الكارما قانون سببي أخلاقي مباشر، لا يحتاج إلى تدخل إلهي، بل يعمل كآلية كونية ذاتية تربط الفعل بنتيجته بشكل حتمي (شرف، ٢٠٢٥، صفحة ٨٠)، وهذا التصور يعكس إدراكاً فلسفياً عميقاً بأن الكون منظومة أخلاقية دقيقة، تُعيد التوازن تلقائياً دون وساطة خارجية.

ثانيا : مفهوم النفي:

يعرف النفي بأنه عقوبة الإبعاد أو الإقامة الجبرية خارج البلاد (منظور، ١٩٨٤، صفحة ٣٣٦)، سواء في مكان محدد أو غير محدد، ولأجل مسمى أو غير مسمى، وهو احد اهم المفاهيم العقابية والاجتماعية التي رافقت الإنسان منذ العصور القديمة، وقد وردت دلالاته في مختلف اللغات والنظم القانونية والدينية، والنفي لغةً، يُشتق من الفعل "نفى"، ويعني الطرد أو الإبعاد أو الإقصاء، ويستخدم بمعنى الإهمال أو الاستنكاف، كما ورد في كتب اللغة: "نفيته نفياً" أي أخرجته من البلد وطردته (البستاني، ١٨٧٠، صفحة ٩١٠)، أما اصطلاحاً، فيعرف النفي بأنه الطرد من المدينة أو المجتمع، أو الإبعاد إلى بلدة أخرى، ويقال إن أصله الإهلاك أو الإعدام، وهو نوع من العقوبة الإصلاحية التي تهدف إلى تغيير الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه المجرم. قانونياً، ولم يكن النفي في الفكر العراقي القديم مجرد عقوبة إقصائية، بل كان يحمل أبعاداً فلسفية ودينية واجتماعية في العراق القديم ارتبط النفي بفكرة العدالة الكونية، حيث يعاقب الفرد أو الجماعة بإبعادهم عن المجتمع لإعادة التوازن (الفاروقي، ٢٠٠٨، صفحة ٧٢).

ثالثاً : أهمية تمثال الإله الإله مردوخ ودوره في استقرار بابل

أظهر سكان العراق القديم تمسكاً راسخاً بالآلهة ، تمسكاً اتسم بالثبات والاستمرارية، بحيث لم تؤثر فيه التحولات السياسية التي شهدتها البلاد عبر العصور، فقد ظل الارتباط بالآلهة جزءاً أصيلاً من البنية الدينية والاجتماعية، يعكس قوة المعتقد وعمق التجذر في الوعي الجمعي، فالأقوام الوافدة والمتعاقبة على أرض العراق لم تحافظ على نمط ثابت في عبادتها لآلهتها الخاصة، بل تأثرت بشكل ملحوظ بالموروث الديني للحضارة السومرية في المنطقة (رو، ١٩٨٤، الصفحات ٢٨٨-٢٨٩)،فلم تصور الالهة في العراق القديم الا بهيئة بشر (الدباغ، ١٩٩٢، صفحة ٢٥)،وأسكنت الالهة بيوتاً تعيش فيها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وتتنزين بملابس وتستقر فيها مع ازواجها وابنائها (بوتيرو، ٢٠٠٥، الصفحات ٨٥-٨٦)، لذا عند تتبع الاحداث التي مرت على تمثال الآله مردوخ نجد ان غيابه عن مدينة بابل لم يكن مجرد حدث ديني عابر في النصوص المسمارية بل مثل أزمة شاملة ذات أبعاد كونية وسياسية واجتماعية ، إذ ارتبط حضور الإله مردوخ ارتباطاً وثيقاً باستقرار المدينة وضمان شرعيتها وكان غيابه علامة على اهتزاز النظام وانهيار أسس السلطة، وتكشف الترنيمة المكتشفة في مكتبة سيبار المدونة باللغتين السومرية والأكدية والتي يرجع تاريخها الى العصر البابلي الحديث (القرن السادس قبل الميلاد) والتي عثر عليها المنقب هرمز رسام ١٨٨٢م (باقر، مقدمة في ادب العراق القديم ، ١٩٧٦، صفحة ٨٧)، عن هذا التصور بوضوح حيث تبرز أن وجود الإله مردوخ كان شرطا جوهريا لاستمرار النظام الكوني والسياسي وأن فقدانه يفسر بوصفه مؤشرا على فقدان الشرعية وتفكك البنية الاجتماعية والسياسية لبابل وبحسب عقيدة التفويض الإلهي للسلطة السياسية في العراق القديم فإن الملوك البابليين كانوا يستمدون سلطتهم من الإله مردوخ باعتباره ملك الآلهة وغيابه يعني أن الملك فقد مصدر شرعيته وأن حكمه أصبح مهدداً فغياب الإله مردوخ كان يستخدم لتفسير الهزائم العسكرية أو سقوط بابل إذ يفهم أن الإله تخلى عن المدينة وبالتالي فقدت قوتها أمام اعدائها (بوتيرو، ٢٠٠٥، صفحة ١٤١)، ،

كان المجتمع البابلي يعرف نفسه من خلال قيم العدالة والكرم المرتبطة بالإله الإله مردوخ وغيابه يعني فقدان الضامن لهذه القيم ويجعل هذه الصفات بلا سند إلهي كما أن غياب الإله كان يستخدم كأداة أدبية لتفسير انتشار الظلم والفوضى ويعتبر سببا لانهيار النظام الاجتماعي والاقتصادي ويعني أن المعبد فقد وظيفته الكونية كنسخة من الأبسو (الدباغ، ١٩٩٢، صفحة ٢٤)وهو ما يرمز إلى انهيار العلاقة بين السماء والأرض وقد ورد في الترنيمة وصف إيساكيلا(Esagila) بأنه قصر الآلهة وصورة الأبسو ونسخة إيشارا مما يعكس مركزية الإله مردوخ في النظام الكوني البابلي وكان تمثال الإله مردوخ في معبد إيساكيلا ببابل يعد التجسيد الأرضي لحضور الإله في المدينة ولذلك فإن سرقته من قبل الأعداء لم تكن مجرد عمل نهب بل كانت ضربة رمزية تهدف إلى إضعاف بابل دينيا وسياسيا.

تشير النصوص التاريخية إلى أن نفي التمثال كانت تستخدم كوسيلة لإذلال المدينة وإظهار أن الإله تخلى عنها وقد ارتبط هذا الفعل بأبعاد سياسية تتمثل في إضعاف الشرعية الملكية وإذلال المدينة والسيطرة الرمزية حيث كان نقل التمثال إلى عاصمة العدو يعد إعلانا بأن الإله أصبح تحت

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

سيطرة المنتصر، كما ارتبط بأبعاد دينية ورمزية منها أن التمثال كان تجسيدا فعليا لحضور الإله وأن حادثة نفيه تعني رحيله عن المدينة وكسر الحماية الإلهية وإعادة توجيه العبادة لصالح القوى الغازية وقد عرف التاريخ البابلي أمثلة عديدة على ذلك ففي العصور الآشورية كان الاستيلاء على تماثيل الآلهة ممارسة شائعة لإضعاف المدن المغلوبة وخلال الحكم الفارسي ارتبطت ثورات بابل بمحاولات استعادة تمثال الإله مردوخ إلى معبد إيساكيلا مما يوضح أن التمثال كان محور الصراع السياسي والديني، وإن نفي تمثال الإله مردوخ لم تكن مجرد عمل نهب بل كانت استراتيجية سياسية ودينية تهدف إلى إضعاف بابل وإذلالها وكان التمثال يعد حضوراً فعلياً للإله وسرقته تعني أن الإله مردوخ تخلى عن المدينة مما جعلها عرضة للانهيار السياسي والاجتماعي (ساكز ، ٢٠٠٩، صفحة ١٨٧)، وهذا الحدث يوضح كيف أن الرموز الدينية كانت تستخدم كأدوات سياسية في العالم القديم، وتصور ملحمة إيرا غياب الإله مردوخ كحدث كوني حيث يترك عرشه ليستريح فيستغل إيرا الفرصة ليطلق الفوضى والدمار وهي ملحمة رمزية وأدبية وليست وثيقة تاريخية ولذلك لا يمكن اعتبارها تحديدا دقيقا لزمن الغياب، وقد ربط بعض الباحثين النص بالقرن الثامن قبل الميلاد زمن الاضطرابات الآشورية فيما أشار آخرون إلى أنه قد يعكس أحداث القرن الخامس قبل الميلاد حين هاجم الملك الفارسي معبد إيساكيلا ،وربما أزال التمثال مما يجعل غياب الإله مردوخ محورياً لفهم التاريخ البابلي ودلالاته السياسية والدينية والاجتماعية.

انعكست الأهمية الكبيرة للتمثال في استخدامها أحياناً كوسيلة للحرب النفسية من قبل أعداء بابل، إذ قامت قوى العدو مثل الحيثيين والآشوريين والعيلاميين بسرقة التمثال أثناء نهب المدينة، مما تسبب في اضطرابات دينية وسياسية، حيث لم يكن من الممكن استكمال طقوس بابل التقليدية بدون التمثال، جميع الملوك الأجانب المعروفين بسرقة التمثال انتهى بهم الأمر مقتولين على أيدي أفراد عائلاتهم، وهو أمر رحب به البابليون على أنه عقاب إلهي، كانت عودة التمثال، سواء من خلال إعادت الأعداء له أو من خلال حملة ناجحة لملك بابلي أنتهت باستعادته، مناسبة كبيرة تدعوا للاحتفال.

يظهر الفكر الديني في حضارات العراق القديم تصوراً مختلفاً للعدالة، إذ ان الآلهة مثل إنليل ومردوخ وعشتار كانت تعتبر مصدر العدالة، وتفسَر الكوارث والمعاناة على أنها نتيجة غضب إلهي أو عصيان بشري، الإنسان في هذا السياق لم يكن مسؤولاً ذاتياً عن مصيره، بل سعى لإرضاء الآلهة عبر الطقوس والتضحيات والدعاء، والنصوص الدينية مثل ملحمة جلجامش وقصة الطوفان

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

تظهر قلق الإنسان العراقي القديم من الموت، وسعيه لفهم العدالة من خلال العلاقة مع القوى الإلهية، ايمانا من الانسان بان العدالة هي حق مشروع للجميع (الاعرجي، ٢٠٢٠، صفحة ١٦٥)، لذا كانت الطقوس تستخدم كوسيلة لتعديل المصير، ومنها تقديم القرابين للآلهة لتطيل العمر ، بينما يجلب غضب الآلهة الشؤم والمرض ويقصر العمر (موسى، ١٩٩٦، صفحة ١٥٧)، مما يجعل العدالة في بلاد الرافدين إرادية وليست ذاتية تتم بتعظيم وتمجيد الآلهة، ومن أبرز الأمثلة التاريخية على هذا التصور حادثة نفي الإله مردوخ من مدينة بابل، حيث اعتبر غياب تمثاله انهياراً للنظام الكوني نفسه، ويفسر على أنه عقاب جماعي ناتج عن خلل في الطقوس أو خيانة العهد الإلهي، كما ان النصوص البابلية تصور غياب مردوخ سبباً مباشراً للكوارث التي حلت بالمدينة، من مجاعة ودمار وفوضى، وكأن الكون فقد مركزه الأخلاقي والروحي، هذا النموذج يظهر أن البابليين كانوا يربطون بين الفعل الجماعي والعقاب الكوني، ويستخدمون الرموز الإلهية لتجسيد هذا العقاب، مما يعكس شكلاً من أشكال السببية الدينية.

كما أن الأساطير العراقية القديمة، مثل قصة أتراخاسيس، تظهر علاقة بين الفعل والعاقبة، حيث يخلق الإنسان لخدمة الآلهة، ثم يعاقب بالطوفان بسبب ضجيجه وتمرده، هذه العلاقة تشير إلى أن الأفعال البشرية لها نتائج، وأن العدالة تُفرض من الآلهة كرد فعل على اختلال النظام، وفي أسطورة إنوما إليش، يظهر الإله مردوخ قدرته على تنظيم الكون بعد صراع مع تيامة، مما يعبر عن أن النظام الكوني لا يستعاد إلا من خلال الفعل الإلهي المنظم. هذا التصور يشبه من حيث البنية فكرة أن الكون يعيد التوازن بعد اختلاله، كما في الكارما، وإن كانت الآلية مختلفة.

يمكن القول إن الفكر العراقي القديم يقدم تصوراً للعدالة قائماً على الطاعة والرمزية الطقسية (بوتيرو، ٢٠٠٥، صفحة ١٤١)، بينما يقدم الفكر الهندي تصوراً قائماً على النية والمسؤولية الذاتية، ومع ذلك، فإن وجود رموز مثل الإله مردوخ واستخدامها لتجسيد العقاب الكوني يظهر أن الإنسان البابلي كان يدرك أن أفعاله تنتج نتائج، وأن هذه النتائج تترجم في الواقع من خلال تغيرات دينية وسياسية واجتماعية، هذا الإدراك يشكل نقطة تقاطع فلسفية مع الكارما، ويظهر أن فكرة العدالة الكونية لم تكن حكراً على الهند، بل كانت حاضرة في حضارات أخرى، وإن بصيغ مختلفة.

المحور الثاني: التحليل المقارن بين الكارما والعدالة الإلهية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

يعد مفهوم العدالة من أكثر المفاهيم تعقيداً في الفكر الديني والفلسفي، إذ يعكس تصورات الإنسان عن النظام الكوني، والمصير، والمعاناة، والجزاء، ويمكننا تحديد اهم مضامين هذه الفلسفة بعدة نقاط اهمها:

١: **البنية الفلسفية:** تبنى الكارما على مبدأ السببية الأخلاقية، حيث ينظر إلى الكون كمنظومة دقيقة تحكمها قوانين غير مرئية، تعيد للفرد نتائج أفعاله، سواء كانت خيراً أو شراً, هذا القانون لا يعتمد على تدخل إلهي مباشر، بل يفهم كقانون ذاتي يعمل بشكل تلقائي، ويقيم الفعل بناءً على النية المصاحبة له (Singha, 2020, p. 570)، في الفكر البوذي تعد الكارما جزءاً من دورة التناسخ، حيث تنتقل نتائج الأفعال من حياة إلى أخرى، مما يمنح الإنسان مسؤولية مستمرة عن مصيره الروحي والاجتماعي (Jayaram).

أما العدالة الإلهية في حضارات العراق القديم، فهي تبنى على إرادة الآلهة، التي تقرر مصير الإنسان بناءً على طاعته وامتثاله للطقوس، والعدالة هنا ليست ذاتية، بل تفرض من الخارج، وتفسر الكوارث والمعاناة على أنها نتيجة لغضب الآلهة أو اختلال في النظام الكوني. النصوص الدينية مثل ملحمة جلجامش تظهر أن الإنسان العراقي القديم كان يدرك محدوديته أمام القوى الإلهية، ويسعى لفهم العدالة من خلال التفاعل مع هذه القوى، لا من خلال أفعاله الذاتية فقط.

٢: الوظيفة الاجتماعية: كانت الكارما في الهند القديمة تستخدم كأداة لضبط السلوك الفردي والجماعي، حيث يشجع الفرد على تحمل مسؤولية أفعاله، ويربط مصيره بنتائجها، هذا التصور يعزز من فكرة الاستقلالية الأخلاقية، ويسهم في بناء مجتمع قائم على النوايا الحسنة والعمل الصالح (Singha, 2020, pp. 566–567)، كما أن الكارما تستخدم في العلاج النفسي الحديث لتشجيع المسؤولية الشخصية، وتوظف في التنمية الذاتية كأداة لتحفيز السلوك الإيجابي.

اما في العراق القديم فقد كانت العدالة الإلهية تستخدم كوسيلة لضبط النظام الاجتماعي من خلال الطقوس والتضحيات، والسلطة الدينية والسياسية كانت ترتكز على فكرة أن الملك هو ممثل الآلهة، وأن الحفاظ على النظام يتطلب طاعة الآلهة وتنفيذ الطقوس بدقة، هذا التصور يعزز من مركزية السلطة ويقلل من استقلالية الفرد، حيث ينظر إليه ككائن تابع لإرادة عليا، وليس كفاعل أخلاقي مستقل.

٣: **الرمزية الطقسية والدينية**

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

لم تعتمد الكارما على الطقوس بحد ذاتها، بل على النية وراء الفعل (Singha, 2020, p. 566)، في البوذية والجاينية، إذ يعد التأمل والوعي الذاتي من أهم الوسائل لتصفية الكارما السلبية، مما يجعل الطقوس وسيلة ثانوية مقارنة بالتحول الداخلي، الرمزية هنا ترتبط بالتحرر الروحي، لا بالرضا الإلهي، وتعبر عن رحلة داخلية نحو النقاء والاتزان.

أما في العراق القديم، فان الطقوس تعد جوهر العلاقة بين الإنسان والآلهة، التضحيات، الأدعية، والاحتفالات الدينية كانت تستخدم لطلب الغفران أو الحماية، وتعبر عن الخضوع الكامل للنظام الإلهي. الرمزية هنا ترتبط بالقوة والسيطرة، حيث ينظر إلى الآلهة كمصدر للعدالة والمعاناة، ويعد أداء الطقوس بشكل صحيح شرطًا لتجنب العقاب الإلهي.

٤: التأثيرات الثقافية والفكرية

أثرت الكارما بشكل كبير في الأدب والفن والفلسفة الهندية، وامتد تأثيرها إلى الثقافة الغربية، حيث تستخدم كمفهوم رمزي للعدالة الكونية، في الموسيقى، وفي السينما حيث تناولتها الأفلام بشكل سردي، كما تستخدم في الثقافة الشعبية كمبدأ للعدالة الأخلاقية (Singha, 2020, p. 563)، وربما يكون مشابهاً لتأثير فكرة العدالة الإلهية في العراق القديم في الأدب الملحمي والديني، مثل ملحمة جلجامش وقصة الطوفان، وتظهر كيف فسر الإنسان القديم الموت والمعاناة من خلال العلاقة مع الآلهة، التي تمثل القاعدة والقانون لكل انوع التعايش البشري والسلوك الجماعي (اسمن، ٢٠١٣، صفحة ٢٠١)، هذه النصوص تعبر عن قلق وجودي عميق، وتقدم نموذجاً دينياً للعدالة قائمًا على الطقوس والطاعة، لا على النية أو الفعل الأخلاقي.

٥: التداخلات المفاهيمية المحتملة

رغم التباين بين النظامين، هناك إشارات في الفكر العراقي القديم تظهر نوعًا من العلاقة بين الفعل والعاقبة، مثل قصة أتراخاسيس التي تظهر أن الإنسان عوقب بالطوفان بسبب ضجيجه وتمرده، كما أن تمثال الإله مردوخ، الذي يظهره وهو يحمل أدوات العقاب، يمكن أن يفسر كرمز لفكرة أن الأفعال تقابل برد فعل، مما يشير إلى وجود تصور بدائي للعدالة السببية، وإن لم يكن ذاتيًا بالكامل كما في الكارما.

رغم وجود تقاطعات مفاهيمية بين الكارما في الفكر الهندي القديم والعدالة الإلهية في العراق القديم، فإن المقارنة بين النظامين تكشف عن فروق جوهرية في البنية الفلسفية والدينية، أول هذه الفروق يتمثل في غياب مفهوم التناسخ في الفكر العراقي القديم، حيث يعد التناسخ عنصراً جوهرياً في نظام

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

الكارما، بينما الموت في حضارات العراق القديم يمثل نهاية حتمية، ينقل بعدها الإنسان إلى العالم السفلي دون أمل في العودة أو التغيير، كما ان العدالة في العراق القديم ليست تلقائية أو ذاتية، بل إرادية ومشروطة بإرادة الآلهة، مما يجعلها غير قابلة للتنبؤ، تعطى النية في الكارما أهمية مركزية (Singha, 2020, p. 566)، بينما تعطى الطقوس في الفكر العراقي القديم أولوية على النوايا الداخلية.

كذلك تتضمن الكارما هدفاً نهائياً يتمثل بالتحرر الروحي (الموكشا*)، بينما يركز الفكر العراقي القديم على الحفاظ على النظام الكوني وإرضاء الآلهة.

إن المقارنة بين النظامين تكشف عن سعي مشترك لدى الإنسان القديم لفهم العلاقة بين الفعل والعاقبة، لكنها تظهر أيضاً اختلافاً في الأدوات المفاهيمية التي استخدمتها كل حضارة للإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى، الكارما تقدم نموذجاً أخلاقياً ذاتياً، بينما العدالة العراقي القديمة تقدم نموذجاً طقوسياً جماعياً، وكلاهما يعكس محاولة الإنسان لإيجاد معنى وعدالة في وجوده، هذا التباين لا يقلل من قيمة المقارنة، بل يثريها، لأنه يظهر كيف عبّر الإنسان عن قلقه الوجودي من خلال أنظمة فكرية متمايزة، وكيف سعى إلى فهم العلاقة بين الفعل والمصير، سواء عبر قانون أخلاقي ذاتي أو عبر إرادة إلهية فوقية.

المحور الثالث : نفي تمثال الإله مردوخ

ارتبطت عقوبة نفي تماثيل الآلهة بالحروب والحملات العسكرية في الشرق الأدنى القديم، فبحسب الفكر الديني كانت آلهة المدن هي التي تتحارب وتتخاصم فيما بينها، وكانت المسؤولة عن الحروب، التي يشنها حكام الدول والمدن على بعضهم، وأغلب الأحيان تتقدم الجيوش وتشترك بأسلحتها الخاصة المفضلة لديها (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١، ١٩٧٣، صفحة ٣٦٨).

كان وقوع إله المدينة بيد الأعداء يمثل الويل والدمار للمدينة التي يؤخذ إلهها، وأن غياب تمثال الإله الذي هو بحسب اعتقاد العراقيين القدماء المستودع أو الوعاء الحجري الذي تسكن فيه روح

* موكشا (Moksha): مصطلح هندي يشير إلى التحرر الروحي النهائي من دورة الولادة والموت (سامسارا) ومن آثار الكارما،يُفهم في الفكر الهندوسي على أنه الغاية القصوى للحياة الروحية، حيث يسعى الإنسان إلى تجاوز التعلّق بنتائج الأفعال والاندماج في الحقيقة المطلقة أو الوحدة الكونية. يعتبر الموكشا حالة من الحرية المطلقة من المعاناة والتناسخ، ويُطرح في النصوص الفلسفية مثل الأوبانيشاد بوصفه الهدف الأعلى الذي يحقق السلام الداخلي والاتحاد مع البراهمان

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الإله أو جوهر قوته (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١، ١٩٧٣، الصفحات ٣٦٨-٣٦٩).

كانت تماثيل الآلهة تنفى عن مدنها وبلدانها، أما بأسرها مع الملوك وسكان المدن المنفية، أو تنفى تماثيل الآلهة لوحدها، (وهذا ما سنتناوله في هذا المحور)

يعد تاريخ تمثال الإله مردوخ، كبير آلهة بابل، شاهداً فريداً على التداخل العميق بين الدين والسياسة في العراق القديم، وعلى الكيفية التي كانت بها الرموز الدينية الكبرى محوراً للصراع بين القوى الإقليمية في الشرق الأدنى القديم، إذ كان مردوخ في المعتقد البابلي ليس مجرد إله من بين آلهة، بل الإله الحامي للعاصمة بابل، وضامن النظام الكوني، ومصدر الشرعية السياسية للملوك، وكان تمثاله في معبد إيساكيلا بمثابة التجسيد المادي لحضوره، وغيابه يفسر على أنه فقدان للحماية الإلهية واضطراب في التوازن الكوني والاجتماعي، ولهذا السبب، كان التمثال هدفاً متكرراً لعمليات السبي والنفي في سياق الحروب والنزاعات، إذ كان الاستيلاء عليه أو إعادته فعلاً ذا أبعاد سياسية ودينية ونفسية عميقة.

كانت أولى عمليات النفي الكبرى التي تعرض لها تمثال مردوخ في العصر البابلي القديم سنة ١٥٩٥ ق.م، حين تمكن الملك الحثي مورسيلي الاول(١٦٢٠-١٥٩٥ ق.م.)، من دخول بابل بعد حملة عسكرية ناجحة، ففرض سيطرته على المدينة ونقل تمثال مردوخ وزوجته إلى مدينة عانة (رو، ١٩٨٤، صفحة ٣٣٢)،لم يكن هذا الفعل مجرد استيلاء على غنيمة ثمينة، بل عد في نظر البابليين إبعاداً للإله نفسه عن موطنه، وهو ما مثل انهيار الحماية الإلهية وفقدان الشرعية السياسية.

ظل التمثالان في عانة حتى قاد الملك الكشي أكوم كالكريمة (١٦٠٢-١٥٨٥ ق.م) حملة لإعادتهما إلى بابل (الاحمد، العراق القديم ، ج٢، ١٩٨٣، صفحة ٢١٩)، في خطوة سياسية بارعة هدفت إلى كسب ود سكان المدينة وإعادة ترميم العلاقة الطقسية التي كانت أساس استقرار الحكم (القيسي، ٢٠١٩، صفحة ١٤٨)، تكشف هذه الحادثة المبكرة عن إدراك الحكام لأهمية الرموز الدينية في تثبيت السلطة، وعن أن إعادة التمثال لم تكن مجرد عمل ديني، بل أداة لإعادة بناء الثقة بين الحاكم والمحكوم، وإعادة الشرعية إلى النظام السياسي.

أما مصير مورسيلي الاول، الذي نقل التمثال إلى عاصمته، فقد كان الاغتيال وما تبعه من اضطرابات داخلية (الاحمد، العراق القديم ، ج٢، ١٩٨٣، صفحة ٢١٩) .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

كما شهد القرن الثالث عشر قبل الميلاد ثاني عمليات نفي كبرى لتمثال مردوخ، حين استولى الملك الآشوري توكولتي نينورتا الأول(١٢٤٤-١٢٠٨ق.م.) على التمثال ونقله إلى عاصمته، لم يكن هذا الفعل مجرد استيلاء عسكري، بل مثل في نظر البابليين إهانة دينية وانتهاكاً لقدسية الإله، وهو ما انعكس على مصير الملك نفسه؛ إذ تآمر عليه ابنه اشور – نادين – ايلي وكبار دولته وانزلوه عن عرشه ، ثم اغتيل بذريعة تدنيس المقدسات لحمله مردوخ بعيداً عن بابل، اذ يرد في احد النصوص :

"اما توكلتي ننورتا الذي جلب السوء لبابل فقد ثار عليه
آشور – نادين – إيلي والنبلاء الآشوريين وخلعوه عن
العرش ، وفي كار – توكلتي – ننورتا حاصروه في قصره وذبحوه بسيفه"
(رو، ١٩٨٤، الصفحات ٣٥٤-٣٥٥)

بقي التمثال في آشور فترة من الزمن، حتى اعتلى العرش الملك ننورتا توكولتي آشور، المعروف بمواقفه المؤيدة للبابليين، فأعاد التمثال إلى بابل، هذه الخطوة لم تكن مجرد عمل ديني، بل حملت أبعاداً سياسية ودبلوماسية واضحة؛ إذ استخدم التمثال كورقة ضغط أو كهدية سياسية لإعادة بناء العلاقات بين القوى الكبرى، عودته إلى بابل كانت بمثابة إعلان عن مرحلة جديدة من التفاهم والتحالف، مما يكشف أن الرموز الدينية كانت أدوات فعالة في إدارة الصراع السياسي والدبلوماسي في العالم القديم(علي، ٢٠١٢، ص. ٥).

جاء النفي الثالث في عام ١١٦٢ ق.م، وخلال عهد آخر الملوك الكشيين أنليل-نادن-أخي، شن الملك العيلامي **شوترك-ناخونتي** حملة عسكرية على بابل، دمر خلالها معابدها ونهب مقدساتها، وكان أبرز ما استولى عليه تمثال الإله مردوخ (ساكز ، ٢٠٠٩، صفحة ١٨٨)، لم يكن هذا الحدث مجرد عمل عسكري، بل ترك أثراً نفسياً ودينياً بالغاً في وجدان البابليين، كما يوضح نص بابلي جاء فيه:

"إن العرش الإلهي لكبير آلهة البابليين مردوخ قد اهتز من هول ما أصاب
سكان بابل على يد شوترك-ناخونتي الذي سلب تمثال الإله مردوخ... فلم
يغمض جفن للبابليين على هذه الفعلة الشنيعة"(علي، ٢٠١٢، ص. ٦).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

يكشف هذا النص أن البابليين نظروا إلى فقدان التمثال باعتباره انهياراً لعرش العدالة الإلهية، وأن غيابه مثّل أزمة وجودية ارتبطت في المخيال الجمعي بالمجاعة والخراب، وكأن مردوخ قد غادر بابل غاضباً، تاركاً المدينة بلا حماية إلهية.

غير أن هذه الأزمة لم تستمر طويلاً؛ ففي عام ١١١٠ ق.م قاد الملك البابلي نبوخذ نصر الأول حملة كبرى على عيلام في عهد ملكها خوتيليوتوش–انشوشيناك (Grant، ١٩٩٥، صفحة ٢٨)، دمّر خلالها مدناً وأعاد الغنائم إلى بابل، وفي مقدمتها تمثال مردوخ، وكان ذلك بتوجيه وامر من الآلهة :

"أسرعت في المسير ورأيت الإله مردوخ،
البطل المهيب بين الآلهة. وكان معه آلهة الأرض
الذين أمروا بالحملة. تشجعت، لكنني شعرت بالرهبة،
وأطلقت نحيبًا لا يمكن كبحه. أمسكت بيد السيد العظيم،
الإله مردوخ، وجعلته يسلك الطريق نحو وطنه.."
(Grant، ١٩٩٥، صفحة ٧٣)

وقد وثّق نص بابلي لحظة الاستعادة بعبارة ذات دلالة سياسية ودينية عميقة:

"فلماذا يا إله بابل، يا سيد بابل، ستبقى أنت في أرض الأعداء،
لأنه منذ أن أخذ كوتر–ناخونتي تمثال مردوخ من معبد إساغيلا
في بابل فإن العيلاميين قد تمتعوا بالسيادة والقوة والتفوق على
جيرانهم البابليين" (باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١، ١٩٧٣، صفحة ٢١٥).

يعكس النص منطقاً سببياً صارماً في المخيال البابلي، إذ ربط بين وجود التمثال في المدينة وبين قوتها السياسية والعسكرية، واعتبر غيابه سبباً مباشراً لتفوق الأعداء، كما حمل النص نبرة استدعاء للإله كي يعود إلى موطنه، بما يعنيه ذلك من استعادة النظام الكوني والشرعية السياسية

تشير المدونات العائدة لعهد نبوخذ نصر إلى الاحتفالات التي أُقيمت بمناسبة عودة التمثال (Grant، ١٩٩٥، صفحة ٢٨)، حيث شارك فيها البابليون مع الكهنة، وأُعيد تنصيب مردوخ في معبده ايساكيلا، مما عزز مكانته في مجمع الآلهة البابلي، ويرى الباحث لامبرت أن هذه الطقوس ربما كانت تهدف إلى رفع مردوخ إلى مكانة رئيسية بين الآلهة، وهو ما يعكس إعادة تشكيل الهوية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

الدينية لبابل بعد فترة من الغزو والتهميش، وتشبه هذه الطقوس ما يُعرف بـ"التطهير الكارمي"* في الديانات الهندية، حيث يُعاد الاتصال بالمقدّس عبر الطقوس والتوبة الجماعية.

وظف نبوخذ نصر هذا الحدث سياسياً لتثبيت شرعيته في حكم بابل، فصور كمنقذ أعاد رمزها المقدس وأثبت ولاءه للآلهة، في مجتمع يربط الحكم برضا الآلهة، كان استرجاع التمثال إعلاناً بأن مردوخ قد اختاره ملكاً شرعياً، ويتجلى هذا الربط بين الدين والسياسة أيضاً في النقوش التي تصف ترميم المعابد، مثل معبد إيانا في أوروك، باعتباره فعلاً مقدساً يظهر تقوى الملك ويعزز مكانته أمام الشعب والآلهة. وكما في مفهوم الكارما، فإن الأفعال الصالحة مثل ترميم المقدسات تُكافأ بإعادة التوازن والقبول الإلهي.

ارتبطت عودة تمثال مردوخ بإنتاج أدبي وديني يعكس مكانة الحدث في الوعي البابلي. من أبرز هذه النصوص "نبوءة مردوخ"، وهو نص أدبي يمجّد نبوخذ نصر الأول، ويصور الإله مردوخ كإله غاضب من أرض أكد، تركها تحت سيطرة العدو لسبع سنوات، ثم تصالح معها بعد أن بلغ الوقت المعيّن، ما أضفى على الحدث طابعاً شرعياً، اذ ورد فيه:

"[في ذلك] الوقت، كان السيد العظيم، الإله مردوخ، قد أعرض
بغضب إلهي عن أرض أكد، وسيطر العدو الشرير، السوباري،
على حكم أرض أكد لمدة [سبع] سنوات، حتى انقضت الأيام، وبلغ
الوقت المعيّن، وتصالح السيد العظيم، الإله مردوخ، مع أرض أكد
التي كاقد غضب عليها" (Grant، ١٩٩٥، صفحة ١٣٧)

يجسد النص فكرة العدالة الكونية، حيث يرتبط غضب الإله بالاضطراب السياسي، ورضاه بعودة النظام والشرعية، وهو تصور يقارب مبدأ "رد الفعل الكارمي" الذي يعيد التوازن بعد فترة من الانحراف.

كما أن النص التاريخي–الأدبي المعروف باسم DT 71، الذي نُشر في أوائل القرن العشرين، يعود إلى عهد نبوخذ نصر الأول ويصف صراعه مع عيلام. ورغم أن بعض الباحثين مثل Weippert يرون أنه يعود إلى عصر آشوربانيبال (Grant، ١٩٩٥، الصفحات ١١–١٢)، فإن ارتباطه بسياق

* التطهير الكارمي : يقصد بـه في الدراسات الدينية والفلسفية عملية " تنقية النفس" من آثار الأفعال السلبية الماضية، وذلك من خلال ممارسة التأمل، السلوك الأخلاقي القويم، والحث والقيام بأعمال الخير، ويهدف هذا التطهير إلى تقليل عبء الكارما السلبية، وتهيئة الفرد للوصول إلى حالة التحرر الروحي (التي تعرف بـ موكشا في الهندوسية، أو النيرفانا في البوذية)، ينظر : (Ghose, 2007, p. 259)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

استرجاع التمثال يعزز نسبته إلى نبوخذ نصر، خاصة وأنه يتناول موضوعات مشابهة من حيث التوتر الديني والسياسي.

إن دراسة هذا الحدث تظهر كيف استخدمت الرموز الدينية لتبرير السلطة وتثبيتها، وكيف جسّدت العلاقة بين الإله والمدينة مفاهيم العدالة الكونية والشرعية السياسية، نبوخذ نصر الأول لم يكن مجرد ملك محارب، بل رمزاً لنهضة روحية واجتماعية وسياسية في بابل، أعاد من خلالها بناء هوية المدينة ومكانتها في بلاد الرافدين، هذا المشهد يقارب من حيث البنية الفلسفية مفهوم الكارما، حيث يعاد التوازن بعد سلسلة من الأفعال التي استدعت العقاب، ثم التوبة، فالمصالحة.

كما شهد القرن السابع قبل الميلاد إحدى أبرز حوادث نفي تمثال مردوخ، حين استولى الملك الآشوري سنحاريب على التمثال في حملاته ضد بابل. لم يكن هذا الفعل مجرد عمل عسكري، بل مثل في نظر البابليين إهانة كبرى للإله مردوخ وانتهاكاً لحرمة معبده، وهو ما عد سبباً مباشراً لفقدان بابل حمايتها الإلهية، اذ دمر المدينة المقدسة التي حظيت بالاحترام من الملوك السابقين له ، فيذكر :

" هاجمتها كالاعصار، وكالعاصفة اطحت بها.... لم
اترك من سكانها شيباً ولا شباباً اي فرد فملأت بجثثهم
طرقاتها، اما المدينة نفسها وبيوتها فقد حطمتها وخربتها ،
وبالنيران دمرتها من اسسها حتى سقوفها، لكي ينسى الناس
في المستقبل حتى تراب معابدها، (لذلك
فقد) سلطت عليها المياه فحولتها الى مراع..."
(رو، ١٩٨٤، الصفحات ٤٣٠-٤٣١)

غير أن مصير سنحاريب لم يختلف عن مصائر من سبقوه ممن تجرؤوا على نقل التمثال؛ إذ لم تدع الالهة العظيمة لسومر واكد جريمة تخريب بابل تمر دون عقاب ففي العشرين من شهر "تبت, كانون الاول" عام ٦٨١ق.م ،لاقى سنحاريب وهو يتعبد المصير الذي يستحقه ،اذ هشم رأسه بنصب الالهة الحامية على يد احد ابنائه (رو، ١٩٨٤، صفحة ٤٣١)، كأن البابليون يفسرون المشهد على أنه عقاب إلهي متكرر.

تكشف هذه الحادثة أن التمثال لم يكن مجرد رمز ديني، بل أداة سياسية ذات أثر مباشر على شرعية الحكم واستقرار السلطة، فغيابه عن بابل كان يفهم كفقدان للشرعية، بينما مصير السارقين

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م/١٤٤٧هـ

كان يقرأ كعقوبة إلهية أو لعنة مردوخ، وهو ما يعكس منطقاً فلسفياً قريباً من مفهوم "الكارما": الفعل السلبي يرتد على صاحبه مهما بدا في البداية انتصاراً عسكرياً أو سياسياً (علي، ٢٠١٢، ص. ٧).

اما في عهد الملك نبونائيد (٥٥٦–٥٣٩ ق.م)، فقد كان الأمر مختلفاً نوعا ما بعد ان شهدت بابل في ضعفاً ملحوظاً في سلطتها السياسية والدينية حيث اتسمت سياسته الدينية بالانحراف عن التقاليد الراسخة التي كرّست مكانة الإله مردوخ باعتباره الحامي الأعلى لبابل، إذ ركز الملك نبونائيد عبادته على الإله القمر سين في تيماء، وأهمل الطقوس المركزية المرتبطة بمعبد إيساكيلا في العاصمة، كما غاب عن بابل لسنوات طويلة مقيماً خارجها، مما أدى إلى توتر العلاقة بينه وبين الكهنوت البابلي، هذا الإهمال الديني انعكس على شرعية حكمه، إذ اعتبر الكهنة أن الملك قد أخلّ بالنظام الكوني والديني، ففقد بذلك الدعم الشعبي والديني، وعندما دخل كورش الفارسي بابل عام ٥٣٩ ق.م، رحب به الكهنة باعتباره "المعيد لعبادة مردوخ" (Moukarzel, 1993, p. 259)، وهو ما يفسر قبول المجتمع البابلي للغزو الفارسي بوصفه تحريراً أكثر منه احتلالاً، إن سقوط بابل في عهد نبونائيد يوضح بجلاء أن العوامل الدينية، إلى جانب السياسية والاقتصادية، كانت حاسمة في إضعاف الدولة وإسقاطها.

أما آخر عمليات النفي الكبرى فقد وقعت سنة ٤٨٢ ق.م في عهد الملك الأخميني أحشويرش الأول، وذلك عقب ثورة بابلية ضد الحكم الأخميني قتل خلالها المزربان زوبيروس. غير أن انقسام الثوار أضعف موقفهم، فاستغل أحشويرش الفرصة واجتاح بابل، فدمر أجزاء من المدينة، وقتل قائد الثورة بيل–شيماني، وارتكب مذابح في بابل ودلبات وبورسبا، كما قتل عدداً من كهنة المعابد ونفى آخرين إلى إيران، وفي هذه المرة لم يكتفِ الملك بنفي التمثال كما فعل أسلافه، بل عمد إلى صهره وتحويله إلى سبائك ذهبية (الاحمد، الصراع خلال الالف الاول ، ١٩٨٣، صفحة ٨٣)، في خطوة ذات دلالة سياسية ودينية عميقة، فقد أراد بذلك إبطال شرعية أي حركة وطنية مستقبلية يمكن أن تستمد زعامتها من مردوخ، وربما أيضاً فرض ديانته الزرادشتية على بابل، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن أحشويرش كان من أكثر الملوك الأخمينيين حرصاً على نشر الزرادشتية (رو، ١٩٨٤، صفحة ٥٤٧)، وأن تدميره لمعابد بابل أنهى احتفال الأكيتو السنوي، وأدى تدريجياً إلى اضمحلال عبادة مردوخ، ولم يكن هذا الفعل مجرد عمل عسكري أو اقتصادي، بل كان محاولة لإعادة تشكيل الهوية الدينية والسياسية لبابل، وإلغاء رمزها المركزي الذي مثل على مدى قرون أساس الشرعية والسلطة (الاحمد، الصراع خلال الالف الاول ، ١٩٨٣، صفحة ٨٣).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

تظهر هذه الحوادث أن نفي تمثال الإله مردوخ لم تكن مجرد عمل عسكري أو سياسي، بل كانت فعلاً ذا أبعاد دينية–كونية، كل قوة حاولت الاستيلاء عليه واجهت لعنة الإله مردوخ، سواء بالاغتيال أو سقوط الدولة أو الخراب الاقتصادي، هذه النتائج يمكن قراءتها اليوم كصورة من صور الكارما التاريخية بمعنى ان العمل السيء قد ارتد على فاعليه، بينما بقيت بابل تنتظر عودة التمثال لاستعادة النظام والشرعية.

الاستنتاجات

– يتضح من الدراسة المقارنة أن الكارما في الفكر الهندي والعدالة الإلهية في حضارات العراق القديم يمثلان محاولتين إنسانيتين عميقتين لفهم العلاقة بين الفعل والمصير، وتفسير المعاناة والنجاح ضمن إطار كوني أو ديني يمنح الوجود معنى واتساقا، ورغم اختلاف السياقات الفلسفية والدينية، فإن كلا النظامين يعكس استجابة فكرية وروحية لقلق الإنسان الوجودي وسعيه لتحديد موقعه في الكون وحدود حريته ومسؤوليته الأخلاقية.

– رغم أن مصطلح الكارما لا يظهر كمفهوم صريح في نصوص بلاد الرافدين، إلا أن دراسة تلك النصوص تكشف عن وجود منظومات فكرية تتقاطع جزئيا مع بعض جوانب هذا المفهوم، خصوصا في المعتقدات البابلية التي تشير إلى مبدأ العدالة الأخلاقية.

– تقدم الكارما نموذجا أخلاقيا ذاتيا، يقوم على تحميل الإنسان مسؤولية مصيره من خلال أفعاله ونواياه، ويصور الكون كمنظومة سببية دقيقة تعيد التوازن تلقائياً دون تدخل إلهي مباشر، في المقابل، العدالة الإلهية في العراق القديم تقدم نموذجا طقوسيا جماعيا، تدار فيه العدالة من قبل الآلهة، وتفهم المعاناة كعقاب إلهي أو نتيجة لاختلال في النظام الكوني، يمكن استعادته عبر الطقوس والتوبة.

– النصوص والأساطير العراقية القديمة، مثل قصة أتراخاسيس وأسطورة إينوما إليش، تكشف عن وعي بالعلاقة بين الفعل والعاقبة، وإن كانت هذه العلاقة تُدار من خلال إرادة الآلهة لا من خلال قانون ذاتي، كما أن حادثة نفي تمثال الإله مردوخ من بابل تُعد مثالا رمزيا قويا على كيف يمكن أن تُجسد المعاناة الجماعية كنتيجة لفعل بشري جماعي، يُفسر على أنه تقصير في حق الآلهة، ويُعاقب عليه المجتمع بانهيار النظام الرمزي والديني.

– الكارما تركز على النية والبعد الداخلي للفعل، وتقدم مشروعا روحيا طويل الأمد يهدف إلى التحرر من دورة التناسخ، بينما العدالة الإلهية تركز على الطقوس والبعد الخارجي، وتقدم مشروعا جماعيا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ

وظيفيا يهدف إلى الحفاظ على النظام الكوني من خلال الطاعة والامتثال، ان هذا التباين يعكس اختلافا جوهريا في فهم الإنسان لدوره في الكون: فالهندي ينظر إليه كفاعل أخلاقي مستقل، بينما العراق ينظر إليه ككائن تابع لإرادة عليا.

– ان دراسة تمثال الإله مردوخ تكشف عن عمق العلاقة بين الدين والسياسة في حضارة بابل، وتوضح كيف أن الرموز الدينية كانت أدوات لإعادة تشكيل موازين القوى، التمثال كان قلب الهوية البابلية، وغيابه مثّل انهيارا لتلك الهوية أمام الأعداء، مما يجعله مفتاحا لفهم طبيعة الشرعية في العراق القديم، حيث كان حضور الإله في صورة مادية شرطا لاستمرار النظام الكوني والاجتماعي والسياسي.

– ان تمثال مردوخ يشهد على أن التاريخ البابلي لم يكن مجرد سرد للأحداث العسكرية والسياسية، بل كان أيضا تاريخا للرموز والطقوس التي شكلت الوعي الجمعي، وأعادت صياغة العلاقة بين الإنسان والسماء، وبين السلطة والدين، سرقة التمثال عبر التاريخ ارتبطت باللعنة الإلهية، وأدت إلى نتائج سياسية خطيرة على السارقين أنفسهم، مما يعكس مركزية الرمز الديني في النظام الكوني والاجتماعي.

– يمكن القول إن الكارما والعدالة الإلهية يمثلان نموذجين مختلفين للعدالة الكونية، كل منهما يعكس سياقه الحضاري والديني الخاص، ويعبر عن رؤية متميزة للعالم والإنسان والمصير. ومع ذلك، فإن وجود نقاط تقاطع مفاهيمية بينهما يشير إلى أن فكرة العدالة الكونية كانت حاضرة في وعي الإنسان القديم، وأنه سعى في كلتا الحضارتين إلى بناء نظام يفسر له المعاناة والنجاح، ويعيد إليه شعورا بالاتساق والطمأنينة.

– أن المقارنة بين العدالة الإلهية في العراق القديم وأصل فكرة الكارما، يقدم قراءة مقارنة تظهر أن الإنسان في مختلف الثقافات واجه أسئلة وجودية متشابهة، وأنتج إجابات متنوعة تعكس ثراء التجربة الإنسانية، وإن الدراسات المقارنة تسهم في تعميق فهم الفكر الديني والفلسفي القديم، وتفتح آفاقا جديدة لدراسة تطور المفاهيم الأخلاقية والروحية عبر الحضارات.

المصادر العربية

١. ابن منظور. (١٩٨٤). لسان العرب ، ج١٥. بيروت: دار احياء التراث.
٢. البستاني، بطرس . (١٨٧٠). محيط المحيط. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
٣. الدباغ، تقي . (١٩٩٢). الفكر الديني القديم. بغداد: مطابع دار الشؤون الثقافية العامة.
٤. بوتيرو، جان. (٢٠٠٥). الديانة عند البابليين. (د. وليد الجادر، المترجمون) بغداد: مركز الانماء الحضاري.

٥. بارندر، جفري. (بلا .ت). المعتقدات الدينية لدى الشعوب . القاهرة: مكتبة مدبولي .

٦. رو، جورج . (١٩٨٤). العراق القديم. (حسين علوان، المترجمون) بغداد: دار الحرية للطباعة.

٧. حارث سليمان الفاروقي. (٢٠٠٨). المعجم القانوني. بيروت.

٨. الاعرجي ، حسين سيد نور. (٢٠٢٠). مفهوم الشك في العراق القديم. (جامعة واسط، المحرر) لارك، https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss37 .، الصفحات ١٦٣-١٧٣.

٩. الأحمد، سامي سعيد. (١٩٨٣). الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد: الصراع العراقي الفارسي. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

١٠. الأحمد، سامي سعيد . (١٩٨٣). العراق القديم ، ج٢. بغداد : مطبعة الجامعة.

١١. باقر، طه. (١٩٧٣). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١. بغداد: دار الحرية.

١٢. باقر، طه . (١٩٧٦). مقدمة في ادب العراق القديم . بغداد: دار الحرية.

١٣. شرف، علي رضا حسين. (٢٠٢٥). مبدأ الكارما الأخلاقي في الفلسفة الهندية القديمة. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد ١٧. المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد ١٧.

١٤. القيسي، محمد فهد حسين. (٢٠١٩). انتهاك حرمة المعابد في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م. لارك ٦(١)، الصفحات ١٤٠- ١٦٧.

١٥. موسى، مريم عمران. (١٩٩٦). الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية . جامعة بغداد: اطروحة دكتوراه غير منشورة.

١٦. ساكز، هاري . (٢٠٠٩). البابليون. (سعيد الغانمي، المترجمون) دار الكتاب الجديد المتحدة.

١٧. أسمن، يان. (٢٠١٣). الذاكرة الحضارية الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى. (عبد الحليم عبد الغني رجب، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المصادر الاجنبية

18. .(١٩٩٥) .Rulers of Babylonia From the Second Dynasty of Isin to the End of Assyrian Domination (1157-612 BC). London: TORONTO PRESS.

19. k Moukarzel. (1993). The end of the Neo-Babylonian Empire: New data concerning Nabonidus's order to send the statues of gods to Babylon. Journal of Near Eastern Studies (JSTOR) , 52, (4.٢٥٩-٢٧٠، الصفحات)

20. L Ghose. (2007). Karma and the possibility of purification: An ethical and psychological analysis of the doctrine of karma in Buddhism. JSTOR ،2-٢٥٩ ، الصفحات .٢٨٩

21. Ramkanai Singha. (Vol. 7, Issue 2, 2020). Concept of Karma in Indian Philosophy. International Journal of Research and Analytical Reviews (IJRAR.٥٦٣-٥٧٠، الصفحات)

22. v. Jayaram .(بلا ت) .Karma in Hinduism vs Buddhism – Comparative Analysis. Hinduwebsite ،https://www.hinduwebsite.com/buddhism/karma- hinduism-buddhism.asp?utm_source=copilot.com.

• المصادر العربية مترجمة

23. Ibn Manzur (1984) Lisan al-Arab, Vol. 15 Beirut: Dar Ihya' al-Turath
24. Butrus al-Bustani (1870) Muhit al-Muhit Beirut: Catholic Press
25. Taqi al-Dabbagh (1992) Ancient Religious Thought Baghdad: General Cultural Affairs Press
26. Jean Bottéro (2005) Religion of the Babylonians (trans. Walid al-Jader et al.) Baghdad: Center for Civilizational Development
27. Geoffrey Parrinder (n.d.) Religious Beliefs of Peoples Cairo: Madbouli Library
28. George Roux (1984) Ancient Iraq (trans. Hussein Alwan et al.) Baghdad: Dar al-Hurriya Press
29. Harith Suleiman al-Faruqi (2008) Legal Dictionary Beirut
30. Hussein Sayyid Noor al-A'raji (2020) The Concept of Doubt in Ancient Iraq (edited by University of Wasit) Lark https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss37
31. Sami Saeed al-Ahmad (1983) Ancient Iraq, Vol. 2 Baghdad: University Press
32. Taha Baqir (1973) Introduction to the History of Ancient Civilizations, Vol. 1 Baghdad: Dar al-Hurriya
33. Ali Ridha Hussein Sharaf (2025) The Principle of Moral Karma in Ancient Indian Philosophy Arab Journal of Human Sciences, University of Kuwait, Issue 17
34. Muhammad Fahd Hussein al-Qaisi (2019) Violation of the Sanctity of Temples in Ancient Iraq, 3000–539 BC Lark 6(1) https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss13.816
35. Maryam Imran Musa (1996) Religious Thought among the Sumerians in Light of Cuneiform Sources University of Baghdad, unpublished PhD dissertation

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الحادي والاربعون
٢٠٢٦م /١٤٤٧هـ